Al-SHARQ
Vol: 03, Isue:02, July-Dec 2022, pp:27-45

OPEN ACCESS
Al-SHARQ
ISSN (Online): 2710-2475
ISSN (Print): 2710-3692
www.alsharqjr.com

المحسنات البيانية الاستعارية في سورة الكهف في ضوء التحرير والتنوير للشيخ الإمام ابن عاشور

Rhetorical Study of Surah Al-Kahf in the light of metaphor in Shaykh Muhammad Al-Tahir Ibn Ashur's Tafsir Al-TahrirWal-Tanwir

Abid Hussain Kiani
PhD Scholar Islamic Studies (Tafseer & Quranic Sciences)
International Islamic University Islamabad.

Dr. Alzaif Natoor
Associate Proffesor department of Tafseer & Quranic Sciences, Faculty of Usuluddin, International Islamic University Islamabad.

Submission: 28-09-2022 *Accepted: 28-10-2022* *Published:30-12-2022*

Abstract

This study highlights the most rhetorical images of metaphors and its importance with special reference to Tafsir Ibn Ashur in sura Al Kahf. The metaphors are widely used in the Quran. The use of metaphors makes it easy to convey the required meaning(s) to the mankind. Metaphors have the essential elements of interest which need thorough investigation with special reference to Tafsir Ibn Ashur and his approach in the presentation of Quranic metaphors. The Tafsir Al-TahrirWal-Tanwir has special importance among all the Tafasirs due to its latest rhetorical analysis of the Quran. The purpose of the study is to focus on the influence of metaphors on the meaning of verses of Quran in light of Surah Al Kahf. This Tafsir has great importance for the researchers in terms of its analysis of metaphorical images and its kinds. The research also studies the similarities and differences in the use of metaphorical images in sura Al Kahf in this Tafseer in comparison with previous rhetorical Tafasirs and explores all metaphors in Surah Al-Kahf in Tafsir Ibn Ashur.

Keywords: *Metaphor, Rhetorical Study, Sura Al Kahf, Al-Tahrir Wal-Tanwir, Ibn Ashur*

التعارف

CC BY

الحمد لله وكفى والصلاة والسلام على حبيبه مُحَمَّد ﷺ من لا نبي بعده، أما بعد!

فإن القرآن الكريم معجزة خالدة وباقية من معجزات النبي ﷺ، وإعجازه ـفي الراجحـ يرجع إلى بلاغته وبيانه وأسلوبه ونظمه وهو مصدر عظيم ومنبع هائل ورافد خصب للدراسات البلاغية والتفسيرية. ومن هنا كان لعلماء هذه الأمة الإسلامية في كل زمان ومكان اهتمام بالغ منقطع النظير بالقرآن الكريم حفظا ودراسة واستنباطا وبحثا واستنتاجا. وما يخصنا هنا من جوانب دراساته وبحوثه هي الاستعارة من الجانب البياني وأثرها في إبراز المعنى وإثبات الإعجاز القرآني في ضوء تفسير التحرير والتنوير.

إن الصور الاستعارية في القرآن الكريم من أعظم أساليبه ومقتضيات نظمه وأكثرها ورودا وهي سر من أسرار بلاغية ووجه من وجوه إعجازه، خصها القرآن بالذكر ومدحها، ولفت الأنظار إليها، فكانت عناية العلماء بها- ومنهم مفسرنا ابن عاشور- أمرا غير مستغرب. إن الناظر في هذا التفسير سيجد علما جما، وذوقا رفيعا في تحليل الصور الاستعارية، وتنبيها إلى دقائق هذه الصور ربما لا يجدها في غيره من التفاسير، وتفصيلا لكثير من أنواع الاستعارة وصورها.

ومن أبرز العلماء الذين طرقوا هذا الباب ـالتطبيق البلاغيـ وغاصوا هذا البحر هو العلامة الزمخشري في تفسيره الكشاف فإنه طبق أكثر مما أثبته الإمام عبد القاهر الجرجاني فقد زاد عليها أصولا من البلاغة هامة لم يتوجه إليها الإمام الجرجاني، ونمى كثيرا من أصولها الثابتة وقرر مسائلا كثيرة.

أما الشيخ الطاهر ابن عاشور ـرحمه الله تعالىـفهو ممن سلك مسلك صاحب الكشاف و أتباعه من القاضي البيضاوي وغيرهم للتطبيقات البلاغية على النص القرآني المقدس إلا أنه أكمل الطريق الذي مهده الزمخشري وأتباعه وبجهوده لم ينقطع هذه المهمة الصعبة يعني ـالتطبيق البلاغيـ بعد الكشاف والبيضاوي، بل زاد تطورا وتبلورا وأن تفسيره هذا متخصص في البلاغة القرانية متميز عن غيره من التفاسير بميزة وهي أن الشيخ قد جاء في الزمن المتأخر مما أتاح لصاحبه الاستفادة من تراث وجهود العلماء قبله.

وإن صاحبه ذهب إلى أقصى المدى في محاولة الكشف عن سر بلاغي استعاري يحتويه النص القرآني ورغم اعتماده الشديد في البلاغة على صاحب الكشاف وحواشيه والقاضي البيضاوي مع حواشيه و علماء البلاغة المتقدمين منهم والمتأخرين قد لاحظنا له أراء و أفكارا تتميز شخصيته و تثبت مكانته ومنزلته بين العلماء و المفسرين. ولذلك أردت أن أجعل هذا التفسير موضوعا لمقالتي في البلاغة القرآنية والدراسات التفسيرية.

سأذكر ألمحسنات البيانية في ضوء الاستعارة كما ذكرها الشيخ مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور رحمه الله في سورة الكهف. ويشمل مقالتي هذه على التعارف والملخص والتمهيد وأربعة مباخث يشمل كل واحد منها على بيان قسم من أقسام الاستعارة التي ذكرها الشيخ ابن عاشور في تفسيره لسورة الكهف . واخترت لإكمال هذه المقالة المنهج الاستقرائي للوقوف على الاستعارة الواردة في تفسير التحرير و التنوير خلال تفسير سورة الكهف، ثم تطبيقها ومناقشتها وقياسها بما استقر عند علماء البلاغة ونقدها مقارنة بمن سبقه من المفسرين البلاغيين، والكشف عن منهج ابن عاشور في تناول الاستعارة في تفسيره.

التمهيد

الاستعارة نوع من أنواع المجاز، والمجاز نوع مهم من علم البيان. سأذكر أولا تعريف علم البيان، ثم تعريف الاستعارة وأقسامها التي ذكرها الشيخ الإمام ابن عاشور –رحمه الله– خلال تفسيره لسورة الكهف.

التعريف بعلم البيان:

البيان في اللغة: أصله الكشف والظهور[1]، أما معناه في الإصطلاح: فهو علم يعرف به إيراد المعنى الواحد في صور مختلفة مع مطابقة كل واحد منها بمقتضى الحال.[2]

فالمعنى الواحد مثل الجود يمكن إيراده من طرق مختلفة لمن يكون ملما بمسائل هذا الفن، وعالما بقواعده وأصوله.

أولا: من طريق التشبيه، فيمكن أن يقال: "زيد كالبحر" فشبه زيد بالبحر في الإفاضة.

ثانيا: من طريق الاستعارة، يقال فيه: "رأيت بحرا على تخته يعطي" فشبه زيد بالبحر ثم استعير له لفظ البحر على طريق الاستعارة.

ثالثا: من طريق الكناية، مثاله: "زيد كثير الرماد" فكثرة الرماد دالة على جود الزيد لأنها تدل على الكثرة في إحراق الحطب، وهذه دالة على كثرة الطبخ ما تدل على الجود من حيث كثرة الطبح تدل على كثرة الأكلة. فكثره الرماد كناية عن جود الزيد.فهذه التراكيب الثلاثة المختلفة يراد بها معنى واحد وهو الجود، كما عرفنا من الأمثلة.

التعريف اللغوي للاستعارة:

هي مصدر الفعل استعار. ومن خصائص الاستفعال أنه يفيد الطلب، فيكون المعنى: طلب العارة. أو من العارية، والعارية هي انتقال الشيء من شخص إلى غيره، جاء في اللسان (عور): "واستعار: طلب العارية. واستعاره الشيء واستعاره منه: طلب منه أن يعيره إياه"[3]

وأصل الاستعارة المجازية أخذ من معناها الحقيقي في اللغة، حقيقته نوع المعاملة بين الناس، فيستعير بعضهم من بعض آخرين شيئا، ويقع ذلك في إثنين منهم بسبب معرفة مقتضية استعارة الشيء، ويقع في استعارة الألفاظ كذلك، فالمشاركة بين اللفظ المستعار منه واللفظ المستعار له في انتقال المعنى تشبه بالمعرفة بين شخصين في انتقال الشيء المراد استعارته. فالاستعارة تقتضي هذه علاقة المعرفة بين المستعار والمستعار له.

التعريف الاصطلاحي للاستعارة:

تنال الاستعارة اهتمام علماء البلاغة والبيان منذ نشأتها وحتى عصرنا الحديث، وكل منهم يتناول الاستعارة بفكره الخاص، وإن كانت صورتها في مضمونها واحدة لديهم، وهي بمنظور الرماني إطلاق العبارة على معنى غير معناها الموضوعة له في اللغة أصلا على طريق النقل للإبانة.[4]

وإذا أردنا التعرف على تاريخ الاستعارة من نشأتها لدى علماء البالغة إننا نجد الجاحظ أول من التفت إليها وسماها وأفاض بعض الأشياء في الحديث عنها وعرفها أنها إطلاق اسم الشيء على غيره يقوم مقامه.[5]

وعرف كثير من البلاغيين المتأخرين عنه على مر العصور ومنها ماعرفها عبد القاهر الجرجاني بقوله: "اعلم أن

الاستعارة في الجملة أن يكون للفظ أصل في الوضع اللغوي معروف تدل الشواهد على أنه اختص به حين وضع، ثم يستعمله الشاعر أو غير الشاعر في غير ذلك الأصل، وينقله إليه نقلا غير لازم، فيكون هناك كالعارية."[6]

وعرفها أحمد الهاشمي: "هي استعمال اللفظ في غير ما وضع له لعلاقة (المشابهة) بين المعنى المنقول عنه والمعنى المستعمل فيه، مع (قرينة) صارفة عن إرادة المعنى الأصلي (والاستعارة) ليست إلى (تشبيها) مختصرا، لكنها أبلغ منه."[7]

وعرفها ضياء الدين ابن الأثير بقوله: "فإن الاستعارة لا تكون إلا بحيث يطوى ذكر المستعار له الذي هو المنقول إليه ويكتفي بذكر المستعار الذي هو المنقول."[8]

يتبين من استقراء تعريفات البلاغيين للاستعارة أنها من المجاز اللغوي، وهي نقل الكلمة أو العبارة من موضعها الأصلي إلى موضع آخر لعلاقة المشابهة بينهما، مع وجود قرينة تمنع من إيراد المعنى الأصلي الحقيقي. وغرض من الاستعارة هو الظهور، والتوضيح، والتوسع، والمبالغة في التشبيه.

أقسام الاستعارة ألتي ذكرها الشيخ ابن عاشور في تفسيره لسورة الكهف

الاستعارة المفردة: هي استعارة يكون المستعار فيها كلمة مفردة، نحو: "أسد" للرجل الشجاع في قولك: "رأيت أسدا يرمي".

الاستعارة التمثيلية: وهي استعارة يكون المستعار فيها كلاما مركبا من عدة ألفاظ.

وكل واحد من هاتين الاستعارتين ينقسم إلى قسمين باعتبار ذكر فيها المشبه به أو ما يخصه:

1- **مصرحة أو تصريحية:** هي استعارة ما صرح فيها بالمشبه به لفظا.

2- **مكنية:** وهي استعارة حذف فيها المستعار منه لكن رمز له بشيء من لوازمه وروادفه.

إذا كان اللفظ المستعار اسما جامدا لذات، كالبدر إذا استعير للجميل، أو اسما جامدا لمعنى، كالقتل إذا استعير للضرب الشديد، سميت الاستعارة أصلية في كل من التصريحية والمكنية. وإذا كان اللفظ المستعار له فيها فعلا أو اسما مشتقا أو حرفا سميت الاستعارة تبعية لبنائها على تشبيه تابع لتشبيه آخر معتبر أولا.

الاستعارة التهكمية: وهي ما نزل فيها التضاد منزلة التناسب، واللفظ استعمل في معناه المخالف، أو في ضد معناه لإبراز الخسيس في صورة الكريم بقصد السخرية والتهكم والاستهزاء. التهكمية نوع من أنواع الاستعارة العنادية التي لا يمكن اجتماع طرفيها في شيء واحد، وسميت هذه بالعنادية لتعاند الطرفين.

بيان الاستعارات التي ذكرها الشيخ ابن عاشور في تفسيره التحرير والتنوير في سورة الكهف

فقد ذكر الشيخ ابن عاشور رحمه الله استعارات في تفسيره لسورة الكهف، وأبينها إن شاء الله تعالى في مباحث، وهي كما يلي:

المبحث الأول: الاستعارة التصريحية

فذكر الشيخ ابن عاشور ثلاثة عشر استعارات من قسم الاستعارة التصريحية في سورة الكهف صرح فيها بلفظ المشبه به، وكما تنقسم الاستعارة التصريحية إلى قسمين: أصلية وتبعية، فأذكرها تحت مطلبين:

المطلب الأول: الاستعارة التصريحية الأصلية في سورة الكهف

فذكر الشيخ ابن عاشور استعارتين من هذا النوع. وهما كما يلي:

أولا: استعارة السبب للوسيلة في قوله تعالى: {وَءَاتَيۡنَٰهُ مِن كُلِّ شَيۡءٖ سَبَبٗا}[9]

فيقول الشيخ في بيان الاستعارة في هذه الآية الكريمة: "والسبب حقيقته الحبل، وأطلق هنا على ما يتوسل به إلى الشيء من علم أو مقدرة أو آلات التسخير على وجه الاستعارة."[10]

وخلاصة ما ذكر الشيخ أن السبب هنا لم يستعمل لمعناه الحقيقي وهو الحبل بل يستعمل استعارة لوسيلة تستعمل للوصول إلى شيء من علم أو آلات التسخير الأخرى. ويمكن أن نقول في إجراء الاستعارة: شبه الوسائل من علم أو قدرة أو آلات التسخير التي يتوسل بها الى الشيء بحبل بجامع كونهما وسيلة للوصول إلى المقصود، ثم استعير الحبل للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية لكون المشبه به مصرحا به وإسما جامدا.

لم يصرح أحد من المفسرين المقدمين بهذه الاستعارة بل حمل أكثرهم السبب على العلم والقدرة والآلة كالطبري والكشاف والبيضاوي بل حمل ابن عطية على الطريقة المسلوكة، لأنها سبب الوصول إلى المقصد.[11]

ثانيا: استعارة الغطاء لعدم الدلالة في قوله تعالى: {ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي}[12]

في بيان الاستعارة في هذه الآية يقول الشيخ: "الغطاء مستعار لعدم الانتفاع بدلالة البصر على تفرد الله بالإلهية."[13]

وخلاصة ما ذكر الشيخ أن الغطاء هنا استعارة لعدم الانتفاع بدلالة البصر لأنهم لو ينظرون ويفكرون في آيات الله الظاهرة في الآفاق فيعرفون أنه هو إله واحد لا شريك له في الخلق والأمر. وأنهم لا ينتفعون به ولا يستطيعون رؤية الحقيقة كأن في أعينهم غطاء. ويمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: شبه عدم الانتفاع بدلالة البصر بالغطاء بجامع عدم معرفة الحقيقة في كليهما، ثم استعير كلمة غطاء لعدم هذا الانتفاع على سبيل الاستعارة التصريحية الأصلية، صرح فيها بلفظ المشبه به.

المطلب الثاني: الاستعارة التصريحية التبعية:

وذكر الشيخ ابن عاشور أحد عشر استعارة من هذا النوع، وهي كما يلي:

أولا: استعارة الكبر لقوة وشدة في وصف من الأوصاف في قوله تعالى: {كَبُرَتۡ كَلِمَةٗ تَخۡرُجُ مِنۡ أَفۡوَٰهِهِمۡ}[14]

وفي بيان الاستعارة في هذه الآية الكريمة يقول ابن عاشور رحمه الله تعالى: "أصله (يعني الكبر) الإخبار عن الشيء بضخامة جسمه، ويستعمل مجازا في الشدة والقوة في وصف من الصفات المحمودة والمذمومة على وجه الاستعارة."[15]

خلاصة ما ذكره الشيخ في توجيه الاستعارة في الآية المذكورة أنه استعير اللفظ كبرت للشدة والقوة في الوصف المذموم وهو شناعة قولهم هنا، ويمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: قد شبه الشدة والقوة بكلمة كبرت، بجامع قوة الوصف في أمثاله من أوصاف الذات أو المعاني كما يكون الكبر وفرة حجم الجسم بالنسبة لأمثاله من أجسام نوعه، ثم استعيرت كلمة كبرت لبيان شدة شناعة هذه الكلمة على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية، وقرينة هذه

الاستعارة حالية مفهومة من سياق الكلام. وسميت تبعية لإجرائها أولا في المصدر ثم بواسطة ذلك في الفعل.

وذكر البيضاوي رحمه الله في تفسير قوله تعالى كبرت كلمة أن كبر كلمتهم يدل على عظمة مقالتهم في الكفر.[16] فحمل البيضاوي كلمة كبرت على الاستعارة لقوة الوصف ولو لم يصرح بإسم الاستعارة.

ثانيا: استعارة البلاء لتعلق علم الله التنجيزي بالمعلوم عند ظهوره في قوله تعالى: {لِنَبْلُوَهُمْ أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلا}[17]

في بيان الاستعارة في البلاء يقول ابن عاشور: "البلو هو الاختبار والتجربة. وهو هنا مستعار لتعلق علم الله التنجيزي بالمعلوم عند حصوله... وفائدة هذه الاستعارة الانتقال منها إلى الكناية عن ظهور ذلك لكل الناس حتى لايلتبس عليهم الصالح بضده. وهو كقول قيس بن الخطيم[18]:

وأقبلت والخطي يخطر بيننا ... لأعلم من جبانها من شجاعها"[19]

خلاصة ما ذكره الشيخ في هذه الاستعارة أن البلو هنا كناية عن اظهار الحقيقة لكل الناس لكي يعرفون من هو الصالح منهم ومن لا يحسن عملا على سبيل الاستعارة. وقرينة هذه الاستعارة هي الأدلة العقلية والسمعية التي تدل على أن الله سبحانه وتعالى لا يحتاج إلي البلو والإختبار وهو بكل شيئ عليم ويحيط علمه كل شيئ حتى قبل وقوعه. فيكون البلو هنا استعارة للإظهار للناس كلهم كما هو المقصود من الإختبار والتجربة.

فيمكن إجراء الاستعارة على هذه االصورة: قد شبه إظهار الحقيقة لكل الناس بالبلو بجامع المقصود وهو المعرفة والتمييز بين الصالح من الناس ومن لا يحسن عملا، ثم استعير البلو للمشبه على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية.

واستدل الشيخ على هذه الاستعارة ببيت قيس لأنه أراد بشعره أن يعرف الجبان الشجاع بين الناس وتظهر شجاعته نفسه خاصة، فعدم تردده في إقدامه يدل على أنه لم يرد اختبار شجاعة أقرانه.

ومن بلاغة هذه الاستعارة أن لا يبقى الاختلاف في تعيين معنى البلو، ويوضح معنى قوله تعالى أن المراد من البلو هو إظهار للناس كلهم.

ثالثا: استعارة البعث للإيقاظ في قوله تعالى: {ثُمَّ بَعَثْنَٰهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ ٱلْحِزْبَيْنِ أَحْصَىٰ لِمَا لَبِثُوٓاْ أَمَدا}[20]

يقول الشيخ ابن عاشور بيانا للاستعارة فيه: "والبعث هنا الإيقاظ، أي أيقظناهم من نومتهم يقظة مفزوع. كما بعث البعير من مبركة. وحسن هذه الاستعارة هنا أن المقصود من هذه القصة إثبات البعث بعد الموت فكان في ذكر لفظ البعث تنبيه على أن في هذه الإقامة دليلا على إمكان البعث وكيفيته."[21]

خلاصة ما ذكره الشيخ في بيان الاستعارة في هذه الآية أن البعث هنا مستعار للإيقاظ من النوم، لأن البعث حقيقته أنه يكون بعد الموت. ويمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: قد شبه الإيقاظ من النوم للبعث بجامع التحريك بعد السكون ثم استعير لفظ بعثناهم للإيقاظ، على طريق الاستعارة التصريحية التبعية. والقرينة قوله تعالى: {فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ}[22] فيظهر من كلام الزمخشري هنا أن معناه ضرب على إذنهم حجابا من السمع، أي أنامهم إنامة ثقيلة لاتنبه فيها أصوات، كما نرى النام أنه لا يستنبه ولا يسمع ولو يصاح به، فحذف من الكلام الحجاب

مفعول لفعل الضرب.[23]

ومن بلاغة هذه الاستعارة أن لهم فيها تنبيه أن البعث بعد الموت الذي أنكروه يمكن وقوعه كما يمكن الإيقاظ بعد النوم الطويل، وفي لفظ بعثناهم إشارة إلى البعث بعد الموت.

رابعا: استعارة الزيادة لقوة الوصف في قوله تعالى: {وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى}[24]

وفي بيان الاستعارة فيه يقول الشيخ رحمه الله: "والزيادة هي وفرة مقدار شيء مخصوص... وتستعار الزيادة لقوة الوصف كما هنا."[25]

خلاصة ما ذكره الشيخ في بيان الاستعارة في هذه الآية أن الزيادة هنا مستعار لقوة الوصف ويمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: قد شبهت قوة وصف الهداية بالزيادة ما يكون في مقدار شيئ مخصوص، بجامع وفرة وإضافة في كل منهما ثم استعير لفظ زدناهم لقوة الوصف على وجه الاستعارة التصريحية التبعية والقرينة قوله تعالى: "هدى" لأن الهداية ليست شيئ محسوس يقبل الزيادة والنقص، بل توفر وتتقوي وصفا بأنوار العمل الصالح.

وبلاغة الاستعارة في الآية تكمن في تمثيل ما ليس بمرئي حتى يصير مرئيا مشاهدا، فينتقل المخاطب من السماع إلى حد المشاهدة والعيان، وذلك أقوى في التأثير، وأبلغ في البيان.

خامسا: استعارة الربط لتثبيت الإيمان في قوله تعالى: {وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ}[26]

قال الشيخ في بيان هذه الاستعارة: "الربط على القلب مستعار إلى تثبيت الإيمان وعدم التردد فيه."[27]

خلاصة ما ذكره الشيخ في بيان هذه الاستعارة أن الربط على القلب مستعار لتثبيت الإيمان وعدم التردد فيه، يمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: شبه تثبيت الإيمان بالربط على القلب بجامع شدة وقوة التصميم، واستعير فعل ربطنا المشتق من الربط لمعنى أثبتنا على وجه الاستعارة التصريحية التبعية لكونها مصرحة بها وإجرائها في المصدر أولا ثم بواسطة ذلك في الفعل المشتق منه.

ومن بلاغة هذه الاستعارة أنها تدل على قوة صبر وشدة عزم أعطاها الله لأصحاب الكهف، ولما كان خور النفس والفزع يشبه بالتناسب الانحلال، فحسن البلاغة في قوة النفس وشدة تصميمه أن تشبه بالربط. ومنه قولهم في أحد أنه رابط الجأش لمن لا يفزع ولا يتردد ولايتفرق نفسه عند المصيبة في الحرب وغيرها. ومنه ما قال سبحانه وتعالى في الربط على قلب أم موسى.

سادسا: استعارة القيام للإقدام والجسر على عمل عظيم في قوله تعالى: {إِذْ قَامُواْ فَقَالُواْ رَبُّنَا رَبُّ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ}[28]

قال الشيخ: "ويحتمل أن يكون القيام مستعارا للإقدام والجسر على عمل عظيم."[29]

يمكن أن يحمل القيام على الحقيقة كما ذكر الشيخ احتمالا أن إصحاب الكهف وقفوا بين يديهم لإظهار فساد عقيدة الشرك، لكن ذكر فيه الاحتمال أن يكون القيام استعارة عن الإقدام والجسر على عمل عظيم والاهتمام به. وفي هذه الصورة يمكن إجراء الاستعارة على أن الإقدام والجسر على العمل العظيم قد شبه بالقيام بجامع تشبيه الاهتمام بقيام الشخص من قعوده للإقبال على عمل ما، ثم استعير الفعل "قاموا" المشتق من القيام لاهتمامهم بالعمل

أو القول على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية.

واستشهد الشيخ عليه ببيت النابغة: بأن حصنا وحيا من بني أسد ... قاموا فقالوا حمانا غير مقروب

لأن في ذلك ليس القيام في معناه الحقيقي بل استعارة لاهتمامهم بالقول، وهم قد يكونون قالوه وهم قعود.

سابعا: استعارة الشطط للإفراط في شيء مكروه في قوله تعالى: {لَّقَدْ قُلْنَآ إِذًا شَطَطًا}[30]

قال الشيخ فيه: "الشطط هو الإفراط في مخالفة الحق والصواب.. فاستعير للإفراط في شيء مكروه."[31]

خلاصة ما ذكره الشيخ أن الشطط هنا استعارة عن الإفراط في شيء مكروه وهو نسبة الإلهية في القول إلى من دون الله، ويمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: أن الإفراط في شيء مكروه شبه عن الشطط على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية بجامع مفهوم البعد في كليهما عن مقام السكون والراحة. فحذف المستعار منه أي المشبه به وذكر المشبه وهو الشطط، والتبعية لكون الشطط مشتقا من الشط وهو البعد عن الموطن.

ثامنا: استعارة التهيئة للإكرام والعناية في قوله تعالى: {وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا}[32]

وفي بيان الاستعارة فيه يقول الشيخ: "وتهيئته مستعارة للإكرام به والعناية، تشبيها بتهيئة القرى للضيف المعتنى به."[33]

يمكن إجراء الاستعارة في هذه الآية على ما يستفاد من كلام الشيخ –رحمه الله– على ما يلي:

إن الإكرام والعناية شبه بالتهيئة تشبيها بتهيئة القرى للضيف المعتنى به، ثم استعير "يهيئ" لمعنى "يكرم" للمشبه على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية لإجرائها أولا في المصدر (التهيئة) ثم بواسطة ذلك في الفعل (يهيئ).

تاسعا: استعارة الثمر لمال كثير في قوله تعالى: {وَكَانَ لَهُۥ ثَمَرٌ}[34]

يقول الشيخ في بيان الاستعارة فيه:

"والثمر... مشتقا من اسم الثمرة على سبيل المجاز أو الاستعارة لأن الأرباح وعفو المال يشبهان ثمر الشجر."[35]

خلاصة ما ذكر الشيخ رحمه الله أن في هذه الآية ذكر ثمر لمال كثير مأخوذ من ثمرة الشجرة على سبيل المجاز أو الاستعارة. ولو يحمل على الاستعارة ففي إجراء الاستعارة يقال: شبه الثمر وهو المال الكثير المختلف من النقدين والأنعام والحدائق والمزارع بثمرة الشجرة بجامع النمو في كل منهما، المستعار له هو ثمرة الشجرة والمستعار منه هو المال الكثير المختلف والمستعار هو كلمة ثمر، فالاستعارة إذا تصريحية تبعية. التصريحية لكون المستعار منه (الثمر) مصرحا به، والتبعية لكونه مشتقا من ثمرة الشجرة.

عاشرا: استعارة الإرهاق للمعاملة والمقابلة في قوله تعالى: {وَلَا تُرْهِقْنِي مِنْ أَمْرِي عُسْرًا}[36]

قال الشيخ –رحمه الله– في بيان الاستعارة هنا: "والإرهاق مستعار للمعاملة والمقابلة."[37]

ويمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: قد شبهت المعاملة والمقابلة بالإرهاق بجامع الشدة في كليهما ثم استعير لا ترهقني من الإرهاق للمشبه على طريقة الاستعارة التصريحية التبعية، لكون المشبه به (الإرهاق) مصرحا به، ولإجرائها في المصدر (الإرهاق) أولا ثم بواسطة ذلك في الفعل (ولا ترهقني). فيكون المعنى: ولا تعاملني من أمري

بالمضايقة والمؤاخذه والشدة على المنسي، فإن ذلك يعسر على متابعتك.

حادي عشر: استعارة الإرادة للمشارفة في قوله تعالى: {فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُ}[38]

يقول الشيخ الطاهر ابن عاشور في بيان الاستعارة في هذه الآية الكريمة: "فعبر عن إشرافه على الانقضاض بإرادة الانقضاض على طريقة الاستعارة المصرحة التبعية."[39]

إن الإرادة هي ميلان القلب إلى شيء حتى يطلب النفس حصوله، فإطلاق إرادة الانقضاض والسقوط إلى الجدار استعارة هنا لإشرافه على الانقضاض، أي يكاد ينقض ويسقط. وحمل الشيخ الاستعارة على المصرحة التبعية تشبيها لقرب سقوطه بإرادة فعل شيء من يعقل فهو يحسب ويشعر أنه يفعل عند إرادته. يمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: قد شبه إشراف الجدار على الانقضاض بإرادة الانقضاض بجامع إمكان وقوع الفعل قريبا. فاستعير إرادة الانقضاض للإشراف على الانقضاض على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية، وقرينة هذه الاستعارة لفظية وهي نسبة الإرادة إلى الجدار. وسميت تبعية لإجراءها أولا في المصدر ثم بواسطة ذلك في الفعل.

فقد ذكر هذه الاستعارة كثير من المفسرين المقدمين.

فقد صرح الزمخشري بهذه الاستعارة وذكر أن الإرادة مستعارة للمشارفة والمداناة.[40] وبين الرازي وابن عطية أيضا أن وصف الجدار بالإرادة ما من خصائص الحي الناطق استعارة.[41]

المبحث الثاني: الاستعارة المكنية في سورة الكهف

وقد ذكر الشيخ ابن عاشور سبعة استعارات من قسم الاستعارة المكنية، وهي كما يلي:

أولا: قوله تعالى: {إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَاۚ}[42]

يقول الشيخ في بيان الاستعارة المكنية فيه: "والسرادق هنا تخييل لاستعارة مكنية بتشبيه النار بالدار."[43]

يمكن إجراء الاستعارة في هذه الآية الكريمة على ما يستفاد من كلام الشيخ –رحمه الله– على النحو التالي:

فالاستعارة هنا في كلمة "النار" على تخييل أن النار قد تمثل في صورة الدار، ثم ذكر النار وحذف المشبه (الدار) لكن رمز له بشيء من ردائفه هو السرادق (حقيقتها الخيمة ما تكون في منازل الأعنياء) على سبيل الاستعارة المكنية، وقرينتها لفظية وهي "سرادقها". فإثبات السرادق للجهنم تخييل وقرينة للمكنية.

وهذه الاستعارة أبلغ وأفصح في إثبات المبالغة في إحاطة دار العذاب بهم.

ثانيا: قوله تعالى: {كِلۡتَا ٱلۡجَنَّتَيۡنِ ءَاتَتۡ أُكُلَهَا وَلَمۡ تَظۡلِم مِّنۡهُ شَيۡـٔٗا}[44]

وفي هذه الآية الكريمة استعارة مكنية، يقول الشيخ الطاهر ابن عاشور في بيان هذه الاستعارة: "والمعنى أثمرت الجنتان إثمارا كثيرا حتى أشبهت المعطي من عنده."[45]

يظهر من كلام الشيخ أن كلمة آتت أكلهما تتضمن استعارة مكنية، يمكن إجرائها على هذه الصورة: شبه كلتا الجنتين بذوي العقل الذي يعطي من عنده، ثم تناسي التشبيه واستعير المشبه به للمشبه ثم حذف المستعار منه المعطي من عنده ورمز له بشيء من مناسباته هو (آتت ولم تظلم) على طريقة الاستعارة المكنية. ونسبة الإتيان والمجيء إلى الجنتين استعارة تخييلية وقرينة للاستعارة المكنية.

ثالثا: قوله تعالى: {قَدْ بَلَغْتَ مِن لَّدُنِّي عُذْرًا}[46]

في بيان الاستعارة هنا يقول الشيخ: "فاستعير بلغت لمعنى (تحتم وتعين) لوجود أسبابه بتشبيه العذر في قطع الصحبة بمكان ينتهي إليه السائر على طريقة المكنية. وأثبت له البلوغ تخييلا، أو استعار البلوغ لتعين حصول الشيء بعد المماطلة."[47]

وخلاصة ما ذكر الشيخ –رحمه الله– أن إثبات العذر شبه بمقام ينتهي إليه السائر، واستغير مكان انتهاء السائر للمشبه، ثم حذف المستعار منه لكن رمز إليه بشيء مما يناسبه وهو البلوغ، فالاستعارة إذا مكنية. وقرينتها إسناد البلوغ إلى إثبات العذر على وجه الاستعارة التخييلية.

ويمكن أن الاستعارة في هذه الآية تحمل على الاستعارة المصرحة كما ذكر الشيخ رحمه الله. وفي إجراء الاستعارة يقال: شبه تعين حصول الشيء وتحتمه بالبلوغ، ثم استعير المشبه به (البلوغ) عن المشبه (تعين حصول الشيء) بجامع معنى الإيصال إلى المطلوب في كليهما على سبيل الاستعارة التصريحية التبعية. والتبعية لإجراء الاستعارة في المصدر (البلوغ) أولا ثم في الفعل المشتق منه (بلغت) بواسطة ذلك.

رابعا: قوله تعالى: {وَنُفِخَ فِي ٱلصُّورِ فَجَمَعْنَٰهُمْ جَمْعًا}[48]

فذكر الشيخ رحمه الله احتمالين في تعيين معنى النفخ في الصور، أولهما أنه مجاز على طريقة الاستعارة التمثيلية المكنية. وثانيهما حمل الكلام على الحقيقة أنه من مخلوقات الآخرة.[49]

يمكن إجراء الاستعارة في هذه الآية الكريمة على ما يستفاد من كلام الشيخ –رحمه الله –على النحو التالي:

شبه دعوة الداعي المطاع بالنفخ في الصور بجامع الإعلان وسرعة الإجابة، وفيه تشبيه حال بحال وهو كما ذكر الشيخ تشبيه حال الداعي وحال المدعو الكثير بحال الجند المطيعين أمر أميرهم مخرجين بالسرعة من مستقرهم عند سماعتهم بوق النفير، واستعير الحال المشبه به لحال المشبه، ثم حذف التركيب المشبه به لكن إشير إليه بشيء ما يناسبه وهو "النفخ في الصور" فالاستعارة هنا مكنية تبعية. ولكن يمكن أن يحمل على الحقيقة كما قال الشيخ –رحمه الله– ويكون الصور من مخلوقات الآخرة الذي ينفخ فيه عند الساعة.

والراجح عندي هو حمله على الحقيقة لما جاء من الأخبار عن النبي ﷺ، كما قال الطبري تصويبا لهذا الاحتمال أنه ﷺ قال: "إن إسرافيل قد التقم الصور وحنى جبهته ينتظر متى يؤمر فينفخ، وأنه قال: الصور قرن ينفخ فيه."[50]

خامسا: قوله تعالى: {فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا}[51]

يقول الشيخ في بيان الاستعارة هنا: "فشبهوا بالمحقرات على طريقة المكنية وأثبت لهم عدم الوزن تخييلا."[52]

وخلاصة ما يستفاد من كلام الشيخ رحمه الله أن نفي عدم الوزن هنا يستعمل في عدم الاعتداد بالشيء وفي حقارته على طريقة الاستعارة. ويمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: الكفار بآيات ربهم ولقائه قد شبهوا بالمحقرات بجامع الحقارة وعدم الإهتمام إليهما، ثم تناسي التشبيه واستعير المحقرات لهم، ثم حذف المستعار منه ورمز له بشيء من مناسباته وهو عدم الوزن لأن الناس يقيمون الميزان والمقادير لوزن الأشياء المتنافس، ولا يقيمونها لوزن الشيء

التافة، فالاستعارة إذا مكنية. وقرينتها استعارة تخييلية في إثبات عدم قيام الوزن لمن كفروا بآيات الله.

فذكر ابن عطية احتمال الاستعارة والمجاز لعدم قدرهم عندالله ورجح هذا الاحتمال بقوله: " فهذا معنى الآية عندي."[53] وهكذا قال البيضاوي بدون تصريح اسم الاستعارة.[54]

سادسا: قوله تعالى: {قُل لَّوۡ كَانَ ٱلۡبَحۡرُ مِدَادٗا لِّكَلِمَٰتِ رَبِّي لَنَفِدَ ٱلۡبَحۡرُ قَبۡلَ أَن تَنفَدَ كَلِمَٰتُ رَبِّي وَلَوۡ جِئۡنَا بِمِثۡلِهِۦ مَدَدٗا}[55]

فذكر الشيخ ابن عاشور استعارتين مكنيتين في قوله تعالى "مدادا لكلمات ربي" على الاحتمالين، وقال: "وهو (أي المداد) في هذه الآية يحتمل المعنيين فتتضمن الآية مكنيتين على الاحتمالين."[56]

فيمكن بيان الاستعارة في الآية المذكورة على ما يستفاد من كلام الشيخ على النحو التالي:

كلمات الله هنا استعارة، وقرينة الاستعارة هي كلمة "مدادا" بل يطلق المداد على المعنيين المختلفين وهما الحبر والزيت، فهذا الاختلاف ينتج على اختلاف آخر وهو تعيين المستعار له، فذكر الشيخ رحمه الله احتمالين في تعيينه، كما يلي:

الاحتمال الأول: كلمات الله استعارة لمعلومات الله لأن كل معلوم يمكن الخبر به، فأطلق كلمات مجازا على المعلومات يمكن الخبر بها بعلاقة المآل أي إذا أخبر بها تصير كلمات. ويمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: قد شبهت معلومات الله المخبر بها والمطلق عليها كلمات بالمكتوبات، بجامع إمكان الخبر في كليهما، واستعير الكلمات لمعلوماته سبحانه وتعالى، ثم حذف المستعار منه لكن رمز إليه بشيء من لوازمه وهو المداد أي الحبر المستعمل للكتابة، فالاستعارة هي المكنية. والمداد هو الحبر، وسمي بالمداد لأن الدواة تمد به، فإثبات المداد للكلمات استعارة تخييلية وقرينة للمكنية.

الاحتمال الثاني: كلمات الله هنا استعارة للسراج المضيء، ويمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: قد شبهت كلمات الله بالسراج المضيء بجامع الهداية إلى المطلوب في كليهما، ثم استعير كلمات للسراج المضيء، وحذف المستعار منه لكن أشير إليه بشيء مما يلازمه وهو المداد أي الزيت الذي يمد به السراج، فالاستعارة في هذه الصورة مكنية كذلك. فيكون المداد هنا في معنى الزيت وإثباته لكلمات الله استعارة تخييلية، وهي قرينة للمكنية.

والراجح هو الاحتمال الأول لأن نظير هذه الآية هو قوله تعالى في سورة لقمان: {وَلَوۡ أَنَّمَا فِي ٱلۡأَرۡضِ مِن شَجَرَةٍ أَقۡلَٰمٞ وَٱلۡبَحۡرُ يَمُدُّهُۥ}[57] ، فذكر هناك الأقلام إنما يناسب المداد بمعنى الحبر. و وغلب إطلاق المداد على الحبر كما صرح الشيخ محمد الطاهر ابن عاشور.

المبحث الثالث: الاستعارة التمثيلية في سورة الكهف

وقد ذكر الشيخ ابن عاشور خمسة استعارات من قسم الاستعارة التمثيلية، وهي كما يلي:

أولا: قوله تعالى: {وَرَبَطۡنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ}[58]

وقال الشيخ في بيان الاستعارة التمثيلية في هذه الآية الكريمة: "وتعدية فعل ربطنا بحرف الاستعلاء للمبالغة في الشد لأن حرف الاستعلاء مستعار لمعنى التمكن من الفعل."[59]

خلاصة ماذكر الشيخ هنا وفي مقامات إخرى[60] عند بيانه استعارة في حروف الاستعلاء أن حرف الاستعلاء مستعار لمعنى التمكن على سبيل الاستعارة، فبين في إجراء هذه الاستعارة في سورة البقرة عند تفسيره لآية {أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْ}[61] أن في حرف الاستعلاء استعارة بتشبيه حالهم في التمكن من الهدى وثباتهم عليه بحال الراكب من يعتلي على المركوب ويتمكن من التصرف التام، وقرينة الاستعارة ذكر حرف الاستعلاء بالهدى.

ثم بين فيها اختلاف العلماء في تعيين الاستعارة، وذكر فيه ثلاثة أقوال:

1- فقال الزمخشري فيها والطيبي والتحتاني والتفتازاني والبيضاوي أنها استعارة تمثيلية تصريحية لكن يصرح فيه ببعض المركب الدال أي "على" لا كله وهو: "أولئك على مطية الهدى".

2- وقال القزويني والجرجاني أنها استعارة تبعية مقيدة بأن يشبه التمسك بالهدى عند المتقين بالتمكن من الدابة للراكب، وتبعية لبنائها على حرف.

3- وقال السيد الجرجاني بالجواز لوجه آخر، وهو: أنها استعارة مكنية مفردة بشبيه الهدى بمركوب، وقرينتها حرف الاستعلاء.

ثم جعلا التفتازاني والطيبي استعارة في الآية تبعية مع التمثيلية، التبعية لكونها مبنية على الحرف، والتمثيلية لأن مجيء حرف الاستعلاء (على) يريد أن يكون معناها مستعارا لما يشبه ويماثله وهو التمكن. فرجح التفازاني منهما التمثيلية والجرجاني التبعية.

ثم نافش الشيخ ابن عاشور بين أقوال هؤلاء الأئمة ورجح أنها استعارة تمثيلية مكنية.[62]

ثانيا: قوله تعالى: {وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا}[63]

في بيان الاستعارة في هذه الآية يقول الشيخ: "فكان في قوله: لملئت استعارة تمثيلية."[64]

يدل الملء في وضعه الحقيقي على كون الظرف مملؤا بحيث لا تبقى فيه سعة لزيادة شيء من المظروف، لكن هنا لا يستعمل في هذا المعنى ولكن يستعمل في عقل الإنسان الذي تمكن فيه صفة من النفس وهي الرعب بحيث لا تبقى سعة لتفكير في غيرها، فهذا التركيب مجاز قرينته لفظية وهي الضمير في كلمة "لَمُلِئْتَ"، وعلاقته المشابهة، والمشبه هنا تمكن الصفة من النفس كاملة حتى لا يبقى مكان للتفكير غيرها والمشبه به ملء الظرف بالمظروف.

يمكن إجراء الاستعارة في ضوء ما قال الشيخ –رحمه الله– على النحو التالي:

قد شبه تمكن صفة الرعب من النفس كاملة وشاملة بملء الظرف بالمظروف بجامع الزيادة وإحاطة الشيء حتى لا تجد سعة لغيره، ثم استعير التركيب يدل على المشبه به للتركيب الدال على المشبه، فالاستعارة إذا تمثيلية. والقرينة لفظية وهي ضمير المخاطب في كلمة "لَمُلِئْتَ".

قد تفرد الشيخ ابن عاشور رحمه الله في بيان هذه الاستعارة ولم أجد بيانها عند المفسرين المتقدمين.

ثالثا: قوله تعالى: {سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ}[65]

يقول الشيخ في بيان الاستعارة هنا: "والرجم... استعير هنا لرمي الكلام من غير روية ولا تثبت، قال زهير: وما هو عنها بالحديث المرجم"[66]

خلاصة ما ذكر الشيخ في بيان الاستعارة أن الرجم معناه الحقيقي وهو الرمي بالحجارة. وإن لفظ الرجم في هذه الآية لا يدل على معناه الحقيقي ولكن مستعار عن معناه المجازي (وهو رمي الكلام من غير روية ولاتثبت)، ويمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: قد شبه رمي الكلام من غير روية ولا تثبت برمي الحجر، ثم استعير الرجم الذي يدل على الرمي بحجر عن رمي الكلام من غير روية ولا تثبت بجامع عدم الإطلاع على حقيقة المأخذ والهدف والمنفعة والضرر، (وهذا يكون خاصة إذا رمي الحجر في الظلمة ولا يعرف من يرمي هدفه يدل عليه لفظ بالغيب) على وجه الاستعارة التمثيلية. علاقته المشابهة، وقرينة الاستعارة حالية يمكن فهمها من سياق الكلام.

وقد صرح ابن عطية بهذه الاستعارة[67] وأشار إليها الزمخشري[68] استشهادا ببيت زهير، فاستدل الشيخ والإمامان ببيته لأنه أراد بشعره أن الحرب ليست إلا التي عرفتموها وجربتموها، وشبهها بمأكول ومطعوم مكروه على سبيل الكناية. والترجيم هو الرمي بالرجام أي الحجارة الصغار، استعير لإلقاء الكلام على وجه الاستعارة التصريحية.

رابعا: قوله تعالى: {كِلْتَا ٱلْجَنَّتَيْنِ ءَاتَتْ أُكُلَهَا وَلَمْ تَظْلِم مِّنْهُ شَيْـًٔا}[69]

يقول الشيخ الطاهر ابن عاشور في بيان الاستعارة التمثيلية هنا: "واستعير الظلم للنقص على طريقة التمثيلية" ثم ذكر تفصيلا لإجراء هذه الاستعارة.[70]

خلاصة ما ذكر الشيخ في بيان الاستعارة أن نفيا عن الظلم في هذه الآية لم يستعمل لمعناه الحقيقي بل استعير لمعناه المجازي وهو عدم النقص بجامع عدم الوفاء في كليهما على سبيل الاستعارة التمثيلية، وفي إجراء الاستعارة يمكن أن نقول: شبه النقص في الإثمار بظلم وشبه الزيادة والوفاء فيها بنفي الظلم على سبيل الاستعارة التمثيلية لأن فيه تشبيه هيئة بهيئة كما ذكر الشيخ رحمه الله، فقد شبهت هيئة من صار له حق في وفرة غلتها بهيئة صاحب الجنتين في إتقان خبرهما وترقب إثمارهما بجامع حق الوفاء، وعدم الظلم من حيث إذا لم تأت تانك الجنتان بما هو منتظر ومرتقب ومقصود منهما شبهتا بمن حرم صاحب حق عن حقه وظلمه، ثم استعير التركيب الدال على المشبه به لتركيب نفي الظلم عن صاحب الحق، فالاستعارة تمثيلية. والقرينة لفظية هي الاستعارة المكنية في الجنتين لذوي العقل رمز إليها بتخييل الإعطاء والظلم لهما.

خامسا: قوله تعالى: {إِلَّآ أَن تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ ٱلْأَوَّلِينَ}[71]

في بيان الاستعارة يقول الشيخ: "واسناد منعهم من إلى إتيان سنة الأولين استعارة."[72]

يمكن إجراء الاستعارة في هذه الآية الكريمة على ما يستفاد من كلام الشيخ –رحمه الله –على النحو التالي:

قد شبهت المماثلة في أسباب منعهم ومنع الأولين من الإيمان والإستغفار بإسناد منعهم إلى إتيان سنة الأولين، كأنهم سنوا السنة التي هي سبب منع الآخرين من الإيمان والإستغفار، ثم استعير هذا الإسناد لإشتراك سبب منعهم من عادة الطغيان والعناد وتكذيبهم الأنبياء على طريق الاستعارة التمثيلية.

ومن بلاغة هذه الاستعارة أن فيها تنبيه لكفار عصر النبي ﷺ أن في هذا العناد والمنع من الإيمان فساد حالهم وعاقبة هذا الفساد هو عاقبة الأولين لأن المراد من سنة الأولين هو عذاب عذب به الأمم السابقة من الريح والصيحة والغرق وفسخ صورهم وغير ذلك من طرق العذاب.

فذكر ابن عطية في تفسيره أن هذه الآية تنبيه على فساد حالهم وتأسف عليهم يقتضيه حالهم لأنهم حسبوا مع كونهم مستحقي العذاب أنهم مصيبون.[73]

المبحث الرابع: الاستعارة التهكمية في سورة الكهف

وقد ذكر الشيخ رحمه الله اربعة استعارات من قسم الاستعارة التهكمية، وهي كما يلي:

أولا: قوله تعالى: {إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمۡ سُرَادِقُهَا}[74]

في بيان الاستعارة هنا يقول الشيخ: "وشأن السرادق يكون في بيوت أهل الترف، فإثباته لدار العذاب استعارة تهكمية."[75]

فإثبات شأن السرادق الذي يكون في بيوت أهل الترف للنار الذي هو دار العذاب هزؤ وسخرية بهم، وهذه تسمى استعارة تهكمية. فالاستعارة التهكمية من الاستعارة العنادية، وسميت هذه بالعنادية لتعاند الطرفين وعدم إمكان اجتماعهما في شيء واحد. فالاستعارة التهكمية هي ما نزل فيها التضاد بمنزلة التناسب لأجل التهكم والإستهزاء.

ثانيا: قوله تعالى: {وَإِن يَسۡتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٖ كَٱلۡمُهۡلِ يَشۡوِي ٱلۡوُجُوهَ}[76]

فيقول الشيخ –رحمه الله– في بيان الاستعارة في هذه الآية الكريمة: "والإغاثة مستعارة للزيادة مما استغيث من أجله على سبيل التهكم، وهو من تأكيد الشيء بما يشبه ضده."[77]

الاستغاثة هي طلب الغوث كما يطلبون أهل النار الماء أو شيأ يبرد عليهم من حر النار، ويذكر في جوابه الإغاثة بماء لكن لا تكون فيه البرودة التي يسئلونها بل يكون كالمهل يشوي الوجوه، فهذه الإغاثة ليس في معنى تخفيف شدة الألم بل يستعار للزيادة مما استغيث من أجله، نزل فيه التضاد بمنزلة التناسب لأجل التهكم والاستهزاء، فهذا تسمى في إصطلاح البلغاء استعارة تهكمية.

يمكن أن يقال في إجراء الاستعارة: قد شبهت الزيادة مما استغيث من أجله بالإغاثة، ثم استعير بالإغاثة عن الزيادة في الألم وشدة العذاب على سبيل الاستعارة التهكمية، لأنه تأكيد الشيء بما يشبه ضده ونزول التضاد بمنزلة التناسب.

فحمله الزمخشري أيضا على التهكم كما قال في تفسير هذه الآية الكريمة: "يغاثوا بماء كالمهل... فيه تهكم."[78]

ثالثا: قوله تعالى: {وَعَرَضۡنَا جَهَنَّمَ يَوۡمَئِذٖ لِّلۡكَٰفِرِينَ عَرۡضًا}[79]

يقول الشيخ في بيان الاستعارة في هذه الآية الكريمة: "وعرض جهنم مستعمل في إبرازها حين يشرفون عليها... فشبه ذلك بالعرض تهكما بهم."[80]

يمكن إجراء الاستعارة على هذه الصورة: قد شبه إبراز جهنم جين سيقوا إليها أهلها بعرضها تهكما بهم لأن العرض هو إظهار ما فيه شهوة ورغبة، ثم استعير العرض للإبراز على طريق الاستعارة التهكمية، فنزل فيه التضاد بمنزلة التناسب لأجل التهكم والإستهزاء.

رابعا: قوله تعالى: {إِنَّآ أَعۡتَدۡنَا جَهَنَّمَ لِلۡكَٰفِرِينَ نُزُلًا}[81]

يقول الشيخ في بيان الاستعارة في هذه الآية الكريمة: "إطلاق اسم النزل على العذاب استعارة علاقتها التهكم"[82]

وخلاصة ما يستفاد من كلام الشيخ أن النزل ليس في معناه الحقيقي لأن معنى النزل هو ما يقدم للضيف أو القادم من الطعام عند نزوله فإطلاق اسم النزل على العذاب استعارة تهكمية.

فيمكن إجراء الاستعارة في هذه الآية الكريمة على النحو التالي:

قد شبه العذاب بالنزل تهكما وإستهزاء بجامع التضاد، فنزل فيه التضاد بمنزلة التناسب لأجل التهكم، ثم استعير "نزلا" للعذاب على وجه الاستعارة التهكمية. والقرينة المانعة عن إرادة المعنى الأصلي هي لفظ "جهنم" أسند إليه النزل.

واستشهد الشيخ ببيت عمرو بن كلثوم، وموضع الاستدلال هو أن يسمى القتل قرى في قوله: " قريناكم فعجلنا قراكم" على سبيل الاستعارة التهكمية.

والزمخشري لم يصرح بهذه الاستعارة لكن أشار إليه بقوله: "النزل... نحوه فبشرهم بعذاب أليم."[83] وقد صرح البيضاوي بالتهكم والتنبيه على أن للكافرين وراءها من العذاب ما تستحقر دونه.[84]

نتائج البحث

النتائج التي وصلت إليها من خلال بحثي هذا هي كما يلي:

الاستعارة هي من أبلغ أنواع البيان التي تفيد تأكيد المعنى والمبالغة فيه والوضوح مع الإيجاز في الكلام.

اهتم الشيخ مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور اهتماما بالغا بالاستعارة في تفسيره وخاصة في سورة الكهف، حيث نجده في كثير من الآيات يبين الاستعارة وأثرها في إبراز محاسن البلاغة القرآنية كأننا نجد خلال دراسة تفسيره لسورة الكهف كتابة أديب متذوق يضع أيدينا على مواضع المحسنات البيانية الاستعارية، ينبهنا إلى جهات الجمال والكمال في التعبير.

فذكر الشيخ –رحمه الله– كثيرا من أنواع الاستعارة في سورة الكهف صرح باسمها أو لم يصرح به، وهذا التنوع يدل على أهمية دراسة الاستعارة في إبراز المعنى الحقيقي عند الشيخ.

يبدو من هذا البحث أن لتفسير التحرير والتنوير أثرا بالغا في إبراز المعنى، ومن المستطاع أن يري ذلك الأثر في ثوب وظائف وخصائص الاستعارة التى تنبه الشيخ إلى ذلك من خلال تفسير الآيات المتضمنة الاستعارة في سورة الكهف.

تناول الشيخ الطاهر ابن عاشور للاستعارة أقرب إلى الدراسة التطبيقية التي تكشف عن مواطن الجمال وتميل إلى التحليل والتعليل، كما أنه يمتاز عن الذين سبقوه في بيان الاستعارة.

الاستعارة القرآنية عند الشيخ تثبت الحياة والنطق في الجمال، وتجسم الأمور المعنوية بإبرازها للعيان في صورة أشخاص وكائنات حية. وهي إحساس وجداني عميق ورؤية قلبية للمشبهات التي تتشكل في الكلمات الاستعارة.

This work is licensed under a Creative Commons Attribution 4.0 International License.

الهوامش (References)

[1]. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت – لبنان. ط 3، سنة 1414هـ. ج13، ص69.

[2]. أحمد بن مصطفى المراغي، علوم البلاغة «البيان، المعاني، البديع» بدون تاريخ، ص207.

[3]. ابن منظور، لسان العرب، دار صادر بيروت – لبنان. ط 3، سنة 1414هـ. ج4، ص618.

[4]. الرماني، النكت في إعجاز القرآن، مط: دار المعارف بمصر، الطبعة: الثالثة، 1976م. ص85.

[5]. الجاحظ، البيان والتبيين، الناشر: دار ومكتبة الهلال، بيروت، عام النشر: 1423 هـ. ج1، ص142.

[6]. أبو بكر عبد القاهر بن عبد الرحمن الجرجاني، أسرار البلاغة، قرأه وعلق عليه: محمود مُحَمَّد شاكر، مط: مطبعة المدني بالقاهرة، دار المدني بجدة. ص30.

[7]. أحمد الهاشمي، جواهر البلاغة في المعاني والبيان والبديع، مط: المكتبة العصرية، بيروت–لبنان. ص258.

[8]. ابن الأثير، المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، مط: المكتبة العصرية للطباعة والنشر – بيروت، س:1420 هـ. ج1، ص344.

[9]. سورة الكهف، الآية: 84

[10]. مُحَمَّد الطاهر ابن عاشور، التحرير والتنوير مط: الدار التونسية للنشر – تونس، س 1984م. ج16، ص24.

[11]. انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص539، و ابن جرير الطبري، جامع البيان، ج18، ص93، و الزمخشري، الكشاف، ج2، ص743، و البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج3، ص291.

[12]. سورة الكهف، الآية: 101

[13]. ابن عاشور، التحرير والتنوير مط: الدار التونسية للنشر – تونس، س 1984م.، ج16، ص42.

[14]. سورة الكهف، الآية: 5

[15]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، س 1984م.، ج15، ص252.

[16]. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، مط: دار إحياء التراث العربي – بيروت، ط: الأولى - 1418 هـ. ج3، ص273.

[17]. سورة الكهف، الآية: 7

[18]. هو قيس بن الخطيم بن عدي الأوسي، أبو يزيد: شاعر الأوس، وأحد صناديدها، في الجاهلية. ولد سنة 2 ق

هـ، وتوفي سنة 620م. وله في وقعة "بعاث" التي كانت بين الأوس والخزرج، قبل الهجرة، أشعار كثيرة. أدرك الإسلام وتريث في قبوله، فقتل قبل أن يدخل فيه. له " ديوان – ط ". انظر الأعلام للزركلي، ج5، ص205.

وهذا البيت ينسبه الشيخ إلى إياس بن قبيصة الطائي هو من رجال حرب ذي قار في عدة مواضع خلافا لهذا المقام. انظر مثلا: التحرير والتنوير ج4 ص162، ج6 ص224، ج8 ص211، ج22 ص184، ج27 ص418، ج29 ص250.

[19]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص258.

[20]. سورة الكهف، الآية: 12

[21]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص269.

[22]. سورة الكهف، الآية: 11

[23]. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – 1407 هـ. ج2، ص705.

[24]. سورة الكهف، الآية: 13

[25]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص272.

[26]. سورة الكهف، الآية: 14

[27]. ابن عاشور، المصدر السابق نفسه.

[28]. سورة الكهف، الآية: 14

[29]. ابن عاشور، المصدر السابق نفسه.

[30]. سورة الكهف، الآية: 14

[31]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص274.

[32]. سورة الكهف، الآية: 16

[33]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص277.

[34]. سورة الكهف، الآية: 34

[35]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص318-319.

[36]. سورة الكهف، الآية: 73

[37]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص377.

[38]. سورة الكهف، الآية: 77

[39]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص8.

[40]. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، مط: دار الكتاب العربي – بيروت، ط: الثالثة – 1407 هـ. ج2،

ص737.

[41]. انظر: الرازي، مفاتيح الغيب، دار إحياء التراث العربي – بيروت، الطبعة: الثالثة – 1420 هـ. ج21، ص488. و ابن عطية، المحررالوجيز، مط: دار الكتب العلمية – بيروت، الطبعة: الأولى – 1422 هـ. ج3، ص533.

[42]. سورة الكهف، الآية: 29

[43]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص308.

[44]. سورة الكهف، الأية: 33

[45]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص318.

[46]. سورة الكهف، الآية: 76

[47]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص6.

[48]. سورة الكهف، الآية: 99

[49]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص41.

[50]. الطبري، جامع البيان في تأويل القرآن، ج11، ص463.

[51]. سورة الكهف، الآية: 105

[52]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص48.

[53]. انظر: ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص545.

[54]. انظر: البضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج3، ص295.

[55]. سورة الكهف، الآية: 109

[56]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص52-53.

[57]. سورة لقمان: 27

[58]. سورة الكهف، الآية: 14

[59]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص272.

[60]. المصدر السابق مثلا: ج1 من ص242 إلى ص 246، و ج11 ص34، و ج17 ص100.

[61]. سورة البقرة، الآية: 5

[62]. المرجع السابق نفسه.

[63]. سورة الكهف، الآية: 18

[64]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص282.

[65]. سورة الكهف، الآية: 22

[66]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص291، والبيت الكامل هو: وما الحرب إلا ما علمتم وذقتم ... وما هو عنها

بالحديث المرجم، في ديوان زهير ص 81. انظر: شرح المعلقات السبع للزوزني، ص143، مط: دار احياء التراث العربي، ط: الأولى، س: 1423هـ - 2002 م.

[67]. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص507-508.

[68]. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج2، ص713.

[69]. سورة الكهف، الأية: 33

[70]. انظر للتفصيل: ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص318.

[71]. سورة الكهف، الآية: 55

[72]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص350.

[73]. ابن عطية، المحرر الوجيز، ج3، ص525.

[74]. سورة الكهف، الآية: 29

[75]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج15، ص308.

[76]. سورة الكهف، الآية: 29

[77]. ابن عاشور، المصدر السابق نفسه.

[78]. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج2، ص719.

[79]. سورة الكهف، الآية: 100

[80]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص42.

[81]. سورة الكهف، الآية: 102

[82]. ابن عاشور، التحرير والتنوير، ج16، ص45.

[83]. الزمخشري، الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل، ج2، ص749.

[84]. البيضاوي، أنوار التنزيل وأسرار التأويل، ج3، ص294.